روسيا في سوريا (الجزء 2): التداعيات العسكرية

بواسطة جيفري وايت (/ar/experts/jyfry-wayt-0)

سبتمبر
متوفر أيضًا باللغات:
English (/policy-analysis/russia-syria-part-2-military-implications)

عن المؤلفين

جيفري وايت (/ar/experts/jyfry-wayt-0)

جيفري وايت هو زميل للشؤون الدفاعية في معهد واشنطن ومتخصص في الشؤون العسكرية والأمنية لدول المشرق العربي وإيران.

تحليل موجز

إقرأ الجزء الأول من هذا المرصد السياسي (**http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/russia-in-syria-part-i-declining-military-capabilities-wont-hold-moscow-bac**) الذي ناقش تراجع قدرات روسيا العسكرية والكيفية التي قد تؤثر فيها على سياسات الكرملين في سوريا وأوكرانيا وأماكن أخرى.

يبدو أن روسيا قد بدأت بتدخل عسكري ملحوظ ومباشر في سوريا. وتشير التقارير المستفيضة بما فيها تلك المنسوبة إلى الحكومة الأمريكية وأجهزتها الاستخباراتية أن روسيا تعمل حالياً على بناء قوة مشتركة للتدخل السريع لشن حملات جو-أرض في محافظات اللاذقية وطرطوس على طول الساحل الشمالي الغربي تتجاوز بكثير نطاق الدور الذي لطالما اضطلعت به روسيا على مستوى إمدادات الأسلحة والاستشارة. وإذا ما تم بناء هذه القوة العسكرية على طول خطوط المعركة المذكورة فقد تتغير قواعد اللعبة في ساحة الحرب. كما أن هناك تداعيات كبيرة قد تترتب عن ذلك القرار والتي من شأنها أن تقوّض قدرات إسرائيل على شن عمليات جوية فوق غرب سوريا ولبنان وتعرقل عمليات التحالف الدولي الذي تترأسه الولايات المتحدة ضد تنظيم «الدولة الإسلامية في العراق والشام» («داعش»)/«الدولة الإسلامية» ومنظمات إرهابية أخرى في سوريا.

وعلاوة على ذلك إذا رسّخت روسيا وجودها في سوريا فسيصبح من الصعب على نحو متزايد إقصاؤها من البلاد. وعلى غرار السيناريوهات العسكرية في شبه جزيرة القرم وأوكرانيا يبدو أنه من غير المحتمل أن تتصدى الولايات المتحدة ناهيك عن أي دولة أخرى للقوات الروسية عسكرياً. وعلى الرغم من إمكانية وقوع خسائر في صفوف هذه القوات وتورطها في الحرب السورية إلا أن موسكو قد ترضى بتلك العواقب الوخيمة وتعتبرها ثمناً لقاء إبقاء نظام الأسد في السلطة وإحباط عزيمة واشنطن.

القرار والتحضيرات وتراكم الأحداث

تستند خطوات روسيا في سوريا على ما يبدو على استراتيجية جيوسياسية أكبر شأناً تعول على القليل من التدخل من قبل الولايات المتحدة وحلفائها في سوريا. ويبدو أن التدخل الروسي هو بمثابة جهود استراتيجية مدروسة لدعم النظام السوري من خلال قوات عسكرية مباشرة محفَّزاً على الأرجح بتقييم مفاده أن قوات بشار الأسد قد فشلت وأن الدعم الذي يقدمه «حزب الله» وإيران غير كاف. ومن المرجّح أن تكون روسيا قد اتّخذت قرار التدخل بالتعاون مع طهران التي وفقاً لبعض المصادر الإخبارية تعزّز دعمها العسكري لصالح النظام السوري. ويتضمن القرار الروسي أهدافاً محتملة أخرى من بينها الحفاظ على المنطقة الغربية الحيوية للنظام وحماية المنافذ البحرية والجوية التي تعتمد عليها روسيا للوصول إلى سوريا والعمل على توسيعها وبسط سيطرة موسكو على الوضع بشكل عام. وعلى نطاق أوسع يبدو أن روسيا ملتزمة بممارسة نفوذها في الشرق الأوسط حيث توفر لها سوريا فرصة لتحقيق هدفها.

وبطريقة أو بأخرى يشبه الانتشار العسكري في سوريا السيناريو الذي اعتمدته روسيا للسيطرة على شبه جزيرة القرم عام 2014. ففي البداية تتّخذ روسيا خطوات استباقية غامضة ومكتسية بتصريحات قيادية غير واضحة الأهداف مقرونة ببناء تدريجي للقوات ومستفيدة من الغطاء الذي تؤمنه لها النشاطات والمنشآت الروسية الموجودة سابقاً في سوريا. وقد استعانت موسكو بسفنها (بما فيها سفن الإنزال البحرية) إلى جانب 15 طائرة نقل (من طراز "أي إن- 124" /"الكندور" و "آي إل-62") من أجل إرسال أسلحة جديدة وقوات عسكرية إضافية إلى البلاد. وقد استخدمت تلك الطائرات مسارات جوية متعددة من روسيا إلى اللاذقية وتواصل موسكو نشاطاتها الجوية تحت غطاء بعثات المساعدات الإنسانية.

إن المعدات والأسلحة التي جُلبت كجزء من العملية الجارية تشمل على ما يبدو المركبات القتالية (ست دبابات من طراز "تي -90" وخمسة وثلاثين ناقلة جنود مدرعة) وخمسة عشر قطع مدفعية وشاحنات عسكرية ومركبات رباعية الدفع ووحدات المساكن الجاهزة (لحوالي 1500 شخص) ومركز متنقل لمراقبة الحركة الجوية. وأشارت الصور الفوتوغرافية الملتقطة عبر الأقمار الصناعية التجارية الى الجهود المبذولة لتوسيع مطار باسل الأسد. وفي ظل الوضع الراهن قد تتمكن روسيا من الوصول إلى المطار وإلى موانئ اللاذقية وطرطوس لدعم عملياتها القائمة.

وحتى الآن تفيد بعض التقارير أن حوالي 200 عنصر من عناصر المشاة البحرية الروسية - على الأرجح عناصر من "لواء مشاة البحرية الروسية رقم 810" ومقره في سيفاستوبول - قد تم نشرها في اللاذقية لحماية المنشآت الروسية. وتشير بعض التقارير أيضاً إلى تمركز عناصر من "لواء المشاة البحرية الروسية رقم 363" في سوريا. ووفقاً لمصادر نُسبت إلى الحكومة الأمريكية تسعى روسيا أيضاً إلى نقل نظام صواريخ أرض-جو متطوّرة من طراز "أس أي - 22" ومركبات جوية مقاتلة (طائرات مقاتلة وطائرات القصف) إلى البلاد. وباختصار يدل الانتشار العسكري على مساعٍ روسية قيد التخطيط لتنظيم قوة مشتركة للتدخل السريع.

المهمّات

تتضمن المهام المحتملة التي ستضطلع بها قوات الحملة العسكرية المرتقبة دعم قوات النظام الجوية المتقهقرة في عمليات القصف الجوي ضد الثوّار وتزويد القوات الروسية والمنطقة الحيوية للنظام بالدفاع الجوي بواسطة نظام صواريخ "أس أي - 22" والطائرات القتالية بالإضافة إلى مهمة شن سلسلة معارك قتالية برية وتنظيم بعثات دعم لاسيما من خلال شن عمليات دفاعية وهجومية فضلاً عن تدريب القوات العسكرية والقيام بأدوار استشارية. وتشير أدلة محدودة أن القوات الروسية تشارك فعلاً في بعض المعارك البرية. ويظهر شريط فيديو انخراط عربة قتال مدرعة من نوع "BTR-82A" في الميدان السوري بقيادة طاقم عسكري يتكلم الروسية كما يُزعم بينما أفادت بعض التقارير عن وقوع ضحايا في الصفوف العسكرية الروسية المنتشرة في سوريا. كذلك تشير تقارير عديدة غير مؤكدة إلى انتشار عدد صغير من القوات الروسية في عدة مراكز خارج المنطقة الساحلية وتنخرط في معارك قتالية ومهمات الاستطلاع البري.

وستتضح معالم المهمة الروسية (سواء الهجومية منها أو الدفاعية أو التدريبية أو الاستشارية) عند تحديد حجم القوات الروسية وأنواعها. فوصول طائرات القصف إلى جانب وجود دبابات القتال الروسية من طراز "تي -90" وفقاً لما أفادت به التقارير يشكل دليلاً إضافياً على وجود نيّة هجومية لدى روسيا. وأيّاً كانت المهمة فمن المتوقع أن تعزّز روسيا قدراتها الاستخباراتية ومنظومات القيادة والتحكم الذكية التي تملكها.

التداعيات على سوريا

إذا اتخذت روسيا الخطوات المذكورة أعلاه فقد تنتج تداعيات كبيرة عن تدخلها الأمر الذي سيؤثر على الوضع العسكري في سوريا. وقد تتعاون القوات القتالية الروسية مع قوات النظام السوري معززة بالتالي القوة النارية والدعم الجوي والفاعلية القتالية لصالح النظام. وإذا تضمنت المهمة الروسية توفير التدريبات والأدوار الاستشارية فقد يساهم ذلك في تعزيز المهارات العسكرية للوحدات السورية. كما يمكن للقوات الروسية أن تقوم بمهام قتالية مستقلة ضد أهداف مهمة.

بإمكان القوات الروسية الكبيرة منح النظام السوري ميزة حاسمة في ميادين القتال التي تعمل فيها قواته متيحة بالتالي للنظام السوري السيطرة على مراكز حيوية أو بسط نفوذه عليها واستنزاف موارد الثوّار البشرية والعسكرية استنزافاً مضاعفاً. وقد يساهم تواجد روسيا على أرض المعركة في رفع معنويات قوات النظام بصورة ملحوظة ويبث الذعر في الوقت نفسه في نفوس قوات الثوّار. صحيح أن قوات المعارضة قادرة على هزيمة النظام السوري تحت ظروف معيّنة إلا أن ذلك الاحتمال يبدو بعيداً في ظل وجود القوات الروسية وانخراطها فعلياً في المعركة السورية بغض النظر عن عدد هذه القوات. وقد يتسبب الثوّار بوقوع بعض الخسائر في صفوف الوحدات الروسية إلا أنهم عاجزين إلى حد كبير عن إلحاق الهزيمة بالقوات الروسية في معارك حاسمة على الرغم من الآمال التي يضعها أولئك الذين يستذكرون تجربة موسكو في أفغانستان. فلن يحظى الثوار بالتنسيق والتماسك والانضباط والقوة النارية المطلوبة لهزيمة الروس بصورة ثابتة أو لن يتمكنوا من الانتصار عليهم في معارك أوسع نطاقاً.

التداعيات على إسرائيل

قد يقوّض التدخل الروسي إلى حد كبير من العمليات الجوية الإسرائيلية فوق سوريا ولبنان. وعلى وجه الخصوص مع وجود طائرات حربية وأنظمة دفاع جوي روسية مأهولة فقد تضطر إسرائيل إلى إعادة النظر في عمليات القصف الجوية على المناطق التي تنتشر فيها القوات الروسية وقد تُمكِّن بالتالي إيران أو حتى موسكو من تزويد نظام الأسد و«حزب الله» بترسانة أكثر تطوّراً. وقد أفادت بعض التقارير أن إسرائيل نجحت في استهداف شحنات الأسلحة إلى منطقة اللاذقية إلا أن اتخاذ تلك الخطوة اليوم في ظل انتشار القوات الروسية قد يكون خطيراً. وإذا وسّعت القوات الجوية وقوّات الدفاع الجوي الروسية وجودها خارج النطاق الساحلي وهي خطوة محتملة قد يتضاعف خطر الانخراط في اشتباكات مع أي طائرة إسرائيلية دخيلة.

التداعيات على تركيا

قد يعزّز التدخل العسكري الروسي المتزايد لصالح النظام السوري التحالف الأمريكي-التركي في سوريا بصورة أكثر فأكثر. وبالنسبة إلى أنقرة تشكل موسكو عدوّاً تاريخياً فالأتراك العثمانيين شنّوا على الأقل 17 معركة ضد الروس لم يحققوا فيها أي فوز. وبالتالي قد تضطر تركيا إلى الاصطفاف بشكل وثيق إلى جانب سياسة الولايات المتحدة في سوريا بهدف تجنّب أي احتكاك عسكري ضد روسيا على أرض المعركة.

التداعيات على الولايات المتحدة

تشكل خطوة روسيا تحدياً واضحاً لواشنطن حيث تستغل ما قد تصفه موسكو بالتردد الأمريكي إزاء الانخراط في سوريا. وربما يساهم موقف الإدارة الأمريكية الفاتر حتى الآن - والذي تمثل بالبيانات والتصريحات المثيرة للقلق والمكالمات الهاتفية لوزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف والجهود المبذولة لمنع الحركة الجوية الروسية الى سوريا - في تشجيع الروس على اتخاذ قرار التدخل وهم ينوون متابعته على الأرجح.

بالإضافة إلى ذلك قد يعرقل وجود القوات القتالية الروسية العمليات الجوية للتحالف الدولي - الأمريكي. وبالرغم من أنّ معظم تلك العمليات الجوية تتم بعيداً عن المناطق الساحلية التي تنتشر فيها القوات الروسية على ما يبدو فإن أي توسع للوجود العسكري الروسي نحو الشرق أو الشمال قد يشكل مناطق عمليات مجاورة أو متداخلة. وقد سبق أن أثارت روسيا بالفعل إمكانية وقوع اشتباكات غير متعمدة [مع التحالف] وأشارت إلى ضرورة اعتماد تدابير للحؤول دون الانخراط في اشتباك.

كذلك من شأن العمليات العسكرية الروسية عرقلة الخطط الأمريكية الرامية إلى دعم العمليات البرية في سوريا. وبالرغم من أن تنظيم «الدولة الإسلامية» يشكل الهدف الأساسي لأي حملة عسكرية تدعمها الولايات المتحدة إلا أن ميادين القتال المتشابكة في سوريا غالباً ما تجمع الثوّار وعناصر تنظيم «داعش» وقوات النظام السوري في ساحة واحدة بحيث يقومون بتنفيذ عملياتهم بالقرب من بعضهم البعض أو ينخرطون فعلياً مع بعضهم البعض. وفي ظل الظروف الراهنة قد تسبب العمليات الروسية الداعمة لقوات النظام بشن هجوم على القوات التي تدعمها الولايات المتحدة سواء عن قصد أو دون قصد. وقد تشكل محافظتا درعا وحلب منطقتين رئيسيتين لمثل هذه الاشتباكات.

وبطبيعة الحال كانت موسكو قد نادت بضرورة القيام بعمليات عسكرية دولية ضد تنظيم «الدولة الإسلامية» ونظرياً قد تزيد القوات الروسية من قوة الهجوم الذي يشنه التحالف ضد التنظيم الإرهابي وقد تساهم في استنزاف قوات «داعش» وتدمر البنى التحتية التابعة للتنظيم. إلا أنّ نيّة موسكو الأساسية من التدخل في سوريا تكمن على أغلب الظن في دعم النظام السوري وليس في محاربة تنظيم «الدولة الإسلامية». فالتهديد الرئيسي الذي يواجه النظام غير مرتبط بمعاقل «داعش» في شرق سوريا ووسطها بل بمجموعات الثوّار التي تشكل خطراً متزايداً في المناطق الغربية الحيوية لاستمرارية النظام لاسيما شمال اللاذقية وإدلب وشمال حماة وجنوب دمشق. وبالفعل لم تكن محاربة تنظيم «الدولة الإسلامية» يوماً أولى أولويات العمليات العسكرية للنظام السوري الذي كان تارة يتعاون مع التنظيم وطوراً يهاجمه على أساس تقديرات واقعية للوضع العسكري في ذلك الوقت.

المحصلة

على الرغم من أن النطاق الكامل للتدخل الروسي في سوريا وهدفه لا يزالان غامضين إلا أنّ أبعادهما تبدو كبيرة. وعلى غرار انخراط «حزب الله» علناً في الحرب عام 2013 قد تكون الخطوة الروسية عامل تغيير محتمل لشروط اللعبة العسكرية والذي من المحتمل أن يوقف إنهيار قوات الأسد بل أن يقلب المعادلة لصالح النظام إذا كان عامل التغيير كبيراً بما فيه الكفاية الأمر الذي يرسّخ نفوذ النظام ويعرقل قدرة القوات الإسرائيلية والأمريكية على العمل في البلاد. وقد يمثل التدخل الروسي مشكلة بالنسبة إلى موسكو إلا أن روسيا تبدو عازمة على المخاطرة بعض الشيء لتحقيق هدفها الكامن في تحقيق استمرارية النظام السوري وتسجيل هدف على حساب واشنطن.

كما أن التدخل الروسي في المعركة السورية قد يدفع بالمعارضة وحلفائها لاسيما الحكومات التي يبدو دعمها لهم متزعزعاً إلى أخذ وقت مستقطع. وعلى ما يبدو لا ترغب معظم هذه الجهات الفاعلة [في المعارضة] على الانخراط في معركة عسكرية ضد روسيا وقد تضطر إلى التفاوض بشأن حل سياسي بدلاً من حل عسكري. كما أن التدخل الروسي سيدفع الأطراف المعنية بالتسليم جدلاً إلى أنه لا يمكن أن يكون هناك حل للصراع السوري دون انخراط موسكو. وحيث توجد قوات عسكرية على أرض المعركة يتضاعف تأثير روسيا على أي نتائج قد تنجم [عن الصراع في النهاية]. وطالما يحظى النظام السوري بدعم الكرملين فإن احتمال إقصاء الأسد من منصبه يتضاءل أكثر فأكثر.

إن موقف الولايات المتحدة وحلفائها المتردد تجاه الثوار ودعمهم المتزعزع لهم ناهيك عن بروز تنظيم "الدولة الإسلامية" قد ساهم في منح روسيا الفرصة لاتخاذ خطوات جريئة لتحقيق أهدافها في سوريا. وقد صرّحت موسكو بوضوح بأنها ستستمر في دعم نظام الأسد "عسكرياً وفنياً". وفي حال تطوّر الوجود الروسي إلى قوة قتالية كبيرة فقد تعجز واشنطن وحلفاؤها عن اتخاذ أي خطوات بارزة حيال ذلك. فالولايات المتحدة وحلفاؤها لن يخاطروا في الانخراط في مواجهة عسكرية مع روسيا ومن المحتمل أن لا تكون الأدوات السياسية التقليدية (الاحتجاجات الدبلوماسية والعقوبات وإجراءات الأمم المتحدة) مُجدية أو قد يتم إحباطها من قبل روسيا. إنّ الغرب في حال تفاعلية ولم يبدِ أي رغبة حقيقية في مواجهة موسكو في مناطق أخرى تلوّح بمخاطر إندلاع مواجهات عسكرية.

جيفري وايت هو زميل للشؤون الدفاعية في معهد واشنطن وضابط كبير سابق لشؤون الإستخبارات العسكرية. ويود أن يشكر الزميل البارز في المعهد **سونر چاغاپتاي** لإسهاماته في هذا المقال. ❖

موصى به

BRIEF ANALYSIS

Bennett’s Bahrain Visit Further Invigorates Israel-Gulf Diplomacy

/ /

◆

Simon Henderson

(/policy-analysis/bennetts-bahrain-visit-further-invigorates-israel-gulf-diplomacy)

BRIEF ANALYSIS

Libya’s Renewed Legitimacy Crisis

/ /

◆

Ben Fishman

(/policy-analysis/libyas-renewed-legitimacy-crisis)

تحليل موجز

مواجهة أزمة الغذاء في سوريا

فبراير

◆

عشتار الشامي

(ar/policy-analysis/mwajht-azmt-alghdha-fy-swrya/)

TOPICS

الشؤون العسكرية والأمنية (ar/policy-analysis/alshwwn-alskryt-walamnyt/)

المناطق والبلدان

سوريا (ar/policy-analysis/swrya/)